خطبة: في ظلال سورة

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

القران الكريم خير واعظ وخير هاد ، هو كما وصفه ربنا جلّ وعلا "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57)

ونقف اليوم من سورة من قصار المفصل ، في موعظةٍ بليغة ٍ، وخطابٍ رباني مزلزلٌ وعظيم ، يضع المرءَ أمام مفترقِ طرقٍ وله الخيار ،، لكنها تضع أمامه مآل كلِ خيارٍ يختاره ،، إستمعوا لهذه السورة بقلوبكم عباد الله فقد إبتدأت بقسم من رب العالمين ،، قسم حاسم مجلجل ، لايدع للشك والريبة، في وقوع المقسوم عليه ، ذرةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ( 1 ) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ( 2 ) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ( 3 ) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ( 4 ) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ( 5 ) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ( 6 ) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ( 7 ) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ( 8 ) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ( 9 ) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ( 10 ) .

نعم عباد الله إبتدأت هذه السورة بقسمٍ من الله ومن أصدق من الله قيلا ؟ لينتبه السامعُ لما سيقسم اللهُ عليه ، والله جلّ وعلا يقسم بما شاء على مايشاء " والليل إذا يغشى والنّهار إذا تجّلى وماخلق الذكر والأنثى"

إنه قسمٌ بأعظم الظواهر الكونية المتقابلة والمتتابعة ، بالليلِ إذا غطّى الكونَ بظلامه، وبالنّهار إذا جلّى الكونَ بضيائه ، ثم بأساس الخلقِ لكل كائنٍ حي: الذكورة والأنوثة ،

فعلى ماذا أقسم ربنا عباد الله ؟

" إن سعيكم لشتى" .. سعيكم أيها ألانس والجن لمختلفٌ ومتفاوتٌ ومتعدد ،، لكنّه سعيٌ في طريقين إثنين فقط لاثالث لهما ، مهما تعددت الأوصافُ والأسماء، وتلونّت الأفكارُ والمذاهب .. هما طريقان إثنان ، فليختر المرء مايشاء

 " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ( 5 ) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ( 6 ) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى"  : الطريق الأول طريقُ من أعطى حق الله وإلتزم دين الله ، وإتّقى محارم الله ، وتجنّب سخطه وعقابه ، وصدّق يقينا بجزاء الله بحسن العاقبة في الدنيا والأخرة ، فسنهيؤ له أسباب مرضاة الله ونيل جنّته .

وأما الطريقُ الاخر : " وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ( 8 ) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ( 9 ) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ( 10 ) "

 وأما من بخل بحقّ الله عليه، واستغنى في نفسه عن ربه ، وكذّب بموعود الله وصدقِ مجازاته للمحسنين ، فسنسّهل طريقَه للعسرى أي : للشر  وللعذاب ، وسنعسّر عليه أسبابَ الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها ،

 فما أتعسه من حال ، وماأفظعه من مآل .. فماالذي أرداه ..؟ وماالذي أغواه ..؟

إنّه ماله الذي عبده من دون الله ،، ماله الذي صدٌه عن أمر الله وشرعه ،، ماله الذي جعل الطمع يتمكن من قلبه حتى تردٌى "وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ " (11)

ثم جاء البيان الرباني ،، جاء البلاغ الختامي ،، جاء التعقيب على تلك الحقائق وعظا وبيانا ، وتعليما وإنذارا " إنّ علينا للهدى " أي إنّ علينا أن نبيّن طريقَ الهدى من طريق الضلالة ونبّين الحلال والحرام .

ومن سلك طريق الهدى وصل إلى الله ،، "وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ " (13) ، فمن كان يريد ثوابَ الدنيا فعند الله ثوابُ الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق .

"فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ " تتوهّج وتستعر  { لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ } بالخبر والآيات { وَتَوَلَّى } عن الأمر والطاعات . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى لأن قصدَهُ بإنفاقه كان تزكيةَ نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب ، قاصدًا به وجه الله تعالى ،، وقد نزلت هذه الايةُ ، عباد الله، تُخبر عن أبي بكر رضي الله عنه الذي سخٌر ماله لدين الله ، كان يشتري المسلمين الأرقاء الذين كانوا يٌعذبون بسبب إسلامهم في مكة ، فيعتقهم لايرجو من ذلك شيئا غير مرضاة الله ، يقول له أبوه لو إشتريت بهم رقيقا تتّقوى بهم لكان خيرا لك ، فكان لسان حالهِ كما وصف ربناّ جلّ وعلا "وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (19)إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (20) "

لم يرجو من وراء ذلك الإنفاق إلا وجهَ الله تعالى وكريم مثوبته ، فكان الجزاء كما أراد ونوى "وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (21)

وفقنا الله تعالى للبرّ والتقوى والعمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم .

معاشر المؤمنين

تتلخص مواعظ هذه السورة ودروسها في :

أنّ رسوخَ اليقين بموعود الله وحسنِ مثوبته قاعدةُ العمل الصالح

وأنّ العطاءَ والإنفاقَ برهانٌ على الإيمان

وأنّ الصدقةَ والتقوى سبيلٌ لتيسير العمل الصالح وفتحِ أبوابِ الخير للمسلم

وأنّ الإخلاص هو بابُ القبول عند الله تعالى وسبب مرضاته التي هي غاية كل مؤمن

" وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)